المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــدد 21 آيار 2026
No.21 May 2026

الواقع النفسي وتجلياته في شعر عبد الكريم القيسي الأندلسي- دراسة تحليلية

أ.د. بشار خلف عبود
رفاه علي حسين
جامعة الأنبار، كلية الآداب
alhawijadr@uoanbar.edu.iq
raF24a1007@uoanbar.edu.iq

الملخص:

يهتم هذا البحث بدراسة ومعالجة التحولات التي تعرض لها الشاعر عبد الكريم القيسي الأندلسي، لا من خلال شخصه وسلوكياته فحسب، وإنما من خلال شعره بوصفه فعالية أدبية واقعية حملت همومه ومعاناته النفسية التي جاءت كأنها نسق حزين، ومرآة عاكسة كحاجات نفسية أنهكتها حروف الدهر. وقد قسمت هذه الدراسة على وفق مطالب ثلاثة يسبقها تمهيد ويعقبها خاتمة. فأما المطلب الأول فقد حما عنوان (الأسر) الذي تعرض له القيسي في دار الحرب، وأما المطلب الثاني فقد جاء بعنوان العزل وتعطيل خطة التوثيق، وهو لون آخر من ألوان التعذيب النفسي، وهو عزله عن الفُتيا والقضاء، وما نتج عنه من معاناة نفسية في حين اهتم المطلب الثالث بمحنة أخرى انضافت لمحنه التي أَلَمَّتْ به، وهي حرقتهم لحانوته، إذ لم يكن حرق حانوته إلا بسبب جناية ووشاية ناتجة عن قوله الحق. ومن خلال هذه المطالب الثلاثة تنهض الدراسة هذه مستكشفة ومحلّلةً ومُحَلِّلة.

كلمات مفتاحية: تجليات، الواقع، النفسي، عبد الكريم القيسي.

The Psychological Reality and Its Manifestations in the Poetry of Abd al-Karim al-Qaysi al-Andalusi: An Analytical Study

Prof. Dr. Bashar Khalaf Abboud
Rafah Ali Hussein
University of Anbar, College of Arts, Department of Arabic Language

Abstract:

This research focuses on studying and addressing the transformations experienced by the Andalusian poet Abd al-Karim al-Qaysi, not only through his person and behaviors, but also through his poetry as a literary practice that reflected reality. His verse carried his concerns and psychological suffering, appearing as a sorrowful pattern and a mirror reflecting the psychological needs exhausted by the letters of time. The study is divided into three sections, preceded by an introduction and followed by a conclusion. The first section bears the title “Captivity”, which al-Qaysi endured in the land of war. The second section is entitled “Dismissal and Suspension of Documentation”, representing another form of psychological torment—his removal from issuing fatwas and serving as judge, and the resulting distress. The third section addresses yet another ordeal added to his trials: the burning of his shop, which was not destroyed except due to slander and false accusations arising from his truthfulness.

Through these three sections, the study explores, analyzes, and interprets the poet’s experiences.

Keywords: manifestations, reality, psychological, Abd al-Karim al-Qaysi.

التمهيد:

يشير مصطلح الواقع (Reality) في السياق الأدبي والنقدي إلى الواقع المبني / المشيد، وبما نضيفه على العالم المحيط بنا من المعاني[1]. وأشار دارسون آخرون إلى أنَّ نسبة النتاج الأدبي إلى الواقع تعاني ((أننا ننفي عن هذا النتاج بشكل اولي وعام، ولكن أساسي صفة الخارجي التي لحقت له وعلقت في الأذهان، أو صفة العُلوي، الفوقي التي أَزّلته وأَبّدته جواهر قدسياً[2])

إذن النص الواقعي – بناءً على هذا – هو وليد الواقع (المجتمع)، وبالتالي ينبغي تفسيره وفق مجتمعه والقوانين التي تحكمه.

وعلى هدىً من هذه التصورات نقف عند حدود الواقع المعيش في الأندلس ولا سيما في عصر بني الأحمر الذي ازدهرت فيه الحياة الأدبية ازدهاراً كبيراً بفضل ما أنتجته البيئة الأندلسية من أدباء وشعراء كبار كعبد الكريم القيسي الأندلسي الملقب بالبسطي الذي انتمى إلى أسرة متواضعة قليلة المورد، فلطالما جاهد في سبيل لقمة عيشه جهاداً مُرَّاً. فضلاً عن أنه شهد التحولات السياسية والاجتماعية والنفسية الأخيرة في الأندلس قُبيل السقوط، وصوّرها تصويراً أدبياً وثائقياً قبل أن يكون بناء لغوياً، حمل في أثنائه جرساً موسيقياً حزيناً كان صدىً للظروف النفسية التي أنهكته كوقوعه في الأسر بعد أن اشترك في الجهاد وانخراطه في صفوف الغزاة والمجاهدين، وقد فَجَّرَ الأسر قريحته الشعرية، فأصبح النظم أنيسه في وحدة السجن القاتلة، وسلوته في ظلمته القاتمة.

يمثل هذا النوع من أنواع الواقع الوعاء الذي تنصهر فيه العواطف المكلومة، والسجل الذي تُسَجَّلُ فيه الصراعات الداخلية والخارجية، في ظل نسق شعري وثائقي قبل أن يكون بناءً لغوياً، يحملُ في أثنائه جرساً حزيناً كذلك الجرس الحزين الذي وجدناه عند الشاعر عبد الكريم القيسي، والذي كان مرآة عاكسة لحاجات نفسية أنهكتها حروف الدهر.

مما لا شك فيه أن القيسي _ وإن كان آخر شعراء الأندلس _ من القلّة الذين تمكنوا من توثيق جميع ما شوهد ولوحظ في مدينة (بسطة)، وقد حَمَلَ هذا التوثيق معاناة نفسية كبيرة، وبحسب استقرائنا لديوانه فإن بإمكاننا أن نقسم واقعه ومعاناته النفسية على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأسر

من صور الواقع النفسي المرير الذي عانى منه القيسي هو تعرضه للسجن على يد النصارى الذين اقتادوه بعد أن أمسكت به إحدى دورياتهم التي كانت تجوب المنطقة، حيث كان كثير الترحال بين المدن الصغيرة على مشارف مملكة غرناطة[3]، وقد قَضّى مدة طويلة أسيراً في دار الحرب، وقصائده التي بعثها من هذه الدار عَبَّرَتْ عن طول معاناته للاضطهاد، وهو ليس بدعاً من الشعراء المسجونين، فـــ "كثيراً ما نجد في أثناء قصائد الشعراء المسجونين إشارات تدل على أحوال السجون، فقد برزت موهبتهم في السجن"[4].

وهذا ما لمسناه في نتاج القيسي الشعري، حيث كاد يذوب نحولاً، أو قُلْ كاد ييأس من الخلاص، ولعلَّ ما شَخّصناه من استقرائنا لديوانه أنه لم يُشِرْ البتّةَ إلى الأسباب التي قادته إلى الأسر، وفي ظننا أن عدمَ ذكره لتلكم الأسباب عائد إلى الآتي:

١- المدة الزمنية التي وقع فيها أسيراً مسلماً في قبضة النصارى كانت مُدْلَهّمة؛ لذلك ليس غريباً أو مستبعداً أن يُقاد إلى السجن، والأسارى أمثاله كثيرون، ودليلنا قوله:

(1) ينظر: معجم مصطلحات السيموطيقيا: 157.
(2) في هذا الوقل إشارة إلى نظريتي المحاكاة (نظرية المثل) والإلهام عند أفلاطون.
(3) ينظر: البُسطي آخر شعراء الأندلس: 168.
(4) السجن وأثره في الشعر الأندلسي: 5.

(الكامل)

مـــا فـــي الوجـــود ســـواه أرجـــو فضـــله فـــــي أنْ يُبَـــــدّلَ شِـــــدّتي برخـــــاء

ويَحُـــلَّ قيـــد الأســـر عنّـــي عـــاجلاً مَـــعَ مَـــن بـــآبُرةٍ مـــن الأســـراءِ[1]

2- لقد عانى القيسي ألواناً كم الاضطهاد والعذاب منها:

(أ) العذاب الجسدي ممثلاً بالقيود الثقيلة التي لطالما كُبّلَ بها، وقد عَدَّدَ منها أصنافاً، يقول:

(الكامل)

وبِجـــامعٍ جُمِعَـــتْ يـــدايَ وقُرْمَـــةٍ مَنَعَـــتْ قيـــامي إنْ أردتُ قيامـــا

والشَّـــبُّ والإبريـــقُ كـــلٌّ منهمـــا نُصْـــبَ العِيـــان بجـــانبي قـــد قامـــا[2]

وقوله:

(البسيط)

إنـــي وإنْ كنـــتُ مأســـوراً حليـــفَ أســـىً مُقَيَّـــدَ الرجـــل ذا فكـــرٍ وإطـــراقِ

أبيـــتُ والغُـــلُّ طـــول الليـــل فـــي عنقـــي وفـــي يـــدي وكـــذا الإبريـــق فـــي ســـاقي[3]

أو قوله في موضع آخر:

(الكامل)

فحصـــلتُ فـــي الأســـر الـــذي أداؤه لرهينـــةٍ مـــن أعظـــم الأدواء

أجنـــي مذلّتـــه وضـــيقَ قيـــوده بعـــد اجتنـــاء العـــزّة القعســـاء[4]

أو قوله في مناسبة أخرى:

(البسيط)

أســـرٌ تصـــاحبه الأغـــلالُ دائمـــةً ومحنـــة معهـــا الأشـــغالُ والكُلَـــفُ[5]

(ب) عذاب الأشغال والأعمال، وهو عذابٌ آخر ينضاف إلى العذاب الجسدي، فمن الحفر إلى الهدم والبناء إلى غسل ثياب الأعداء إلى الكنس والرَّش، وقد صَوَّر وذلك خير تصوير بقوله:

(الكامل)

---

(1) ديوان عبد الكريم القيسي: 99.
(2) المصدر نفسه: 103، والجامع: غِلٌّ يشُدُّ الأيدي إلى الرقبة، والقُرمْة: أغلال تجعل فيها الرجل والعنق، والشَّبُّ: خشبتان تشدُّ بها ساقا الأسير، والإبريق: الشَّبُّ.
(3) المصدر نفسه: 114.
(4) المصدر نفسه: 98.
(5) المصدر نفسه: 50، وللمزيد تنظر الصفحات: 36، 38، 108، 195.

أمســـــي وأصـــــبح خادمـــــاً مُتَصَـــــرّفاً لعبـــــــادة الأصـــــــنام والصُّـــــــلبانِ

إنْ لـــم أكـــن بـــالحفر مشـــتغلاً أكـــن بالهـــــدم مشـــــتغلاً مـــــع البنيـــــانِ

والكـــنسُ فـــي يـــوم الجلـــوس صـــناعتي والـــــرَّشُ يتبعـــــه مـــــدى الأحيـــــان

ويغســـــلُ أقـــــذار الكـــــلاب تَحرُّفـــــي فـــــي أكثـــــر الأوقـــــاتِ والأزمـــــانِ[1]

وقد وظف لقافيته نوناً مكسورة؛ وهو من الحروف المهجورة التي تتناسب مع حالته النفسية؛ ولـــ " تعبر عن هذا الحزن والانكسار، ولتفصح عن آلامه وأحزانه، فهو في غير التشديد أسهلها جميعاً"[2].

وما زاد من عذابه أنه كان يُنظر اليه على أنه قوة ميكانيكية لا تعرف للراحة سبيلاً، فيصل صباحه بمسائه علّه يحظى برضى أسياده، يقول في ذلك:

(الكامل)

أَصـــلُ الصـــباحَ مـــع المســـاءِ لـــديهم فـــــي الخدمـــــة المعهـــــودة الإعيـــــاءِ

وأقـــومُ منهـــا بالـــذي خـــو واجـــبٌ مـــــن غيـــــر تفـــــريط ولا اســـــتهزاء

متحريـــــاً إرضـــــاءهم لـــــو أنهـــــم يُبـــــدون أنـــــي جئـــــتُ بالإرضـــــاءِ

مـــا إنْ أرى مـــنهم لـــو أنهـــم ســـوى مـــن قلبـــه مـــــن قســـــوةٍ كالصـــــخرة الصّـــــماءِ[3]

(ت) العذاب النفسي يتمثل بضرورة إصغائه من حكم الله (سبحانه وتعالى) بكفره؛ لأنه يحاول المساس في إيمانه وعقيدته، يقول:

(الكامل)

وكفـــــى بِمَـــــنْ حكـــــم الإلـــــه بكفـــــره أصـــــغي إليـــــه إذا يقـــــولُ كلامـــــا[4]

ولم يصل الحال إلى الإصغاء فحسب، بل تعدّاه إلى ضرورة الامتثال لأوامره من أكل لحم الخنزير وشرب الخمر والقول بأنَّ (عيسى ابن الله ومريم زوجته)، زيادة على كفره بشكل جهري بالرسول (صلّى الله عليه وسلّم) فيقول:

(الطويل)

وصَـــيَّرني بـــالرغم فـــي ملـــك كـــافرٍ بـــــآبرةٍ أضـــــحى مـــــن العظمـــــاءِ[5]

يـــرى آكلـــه الخنزيـــر أفضـــل طعمـــه ويجعـــل شـــرب الخمـــر أرفـــعَ مـــاءِ

(1) المصدر نفسه: 198.
(2) المرشد في فهم أشعار العرب: 58/1.
(3) ديوان عبد الكريم القيسي: 98.
(4) المصدر نفسه: 103.
(5) المصدر نفسه: 110 – 111.

ويحســـب عيســـى ابـــنَ الإلـــه وأمُّـــه لـــــه زوجـــــة موصـــــوفة ببهـــــاءِ

ويكفـــــرُ جهـــــراً بـــــالنبي محمـــــد وشـــــرعته البيضـــــاء دون حيـــــاءِ

ويبدوا أنَّ واقعه النفسي المرير حَوّله إلى سِلعة تباع وتشترى وكأنه في مَزادٍ عَلَني، فيسأله سَيّده: بكم يريد أن يفتدي نفسه، فيجيبه القيسي مضطراً: بِكَمْ تريد؟ فإذا بالمسيحي يطلب ألفاً من الصفر (أي ألف دينار من الذهب)، هذه الحادثة صوّرها القيسي بلغة واقعية سهلة بعيدة عن التزويق قائلاً:

(الطويل)

ويهـــزأ حتـــى إنـــه ليقـــول لـــي بكـــم تفتـــدي مـــن خِـــدمتي وولائـــي؟

فأســـكتُ عنـــه والجـــوانحُ تنطـــوي علـــى أعظـــم الأشـــجان والبُرحـــاءِ

فيســـألني حتـــى أقـــول لـــه: بِكـــم تريـــد؟ ولا تســـلك ســـبيلَ جفـــاءِ

فيطلـــبُ لـــي ألفـــاً مـــن الصُـــفر دائمـــاً وعشـــرين علجـــاً فـــي أقـــلِّ فـــداءِ[1]

المطلب الثاني: العزل وتعطيل خطّة التوثيق ومن ألوان التعذيب النفسي التي طالت القيسي عَزْلُهُ عن الوظائف الدينية التي أوكلت إليه كالإمامة والقضاء وخطة التوثيق التي كانت له سبيلاً يكسب منها زرقه، وقد صَرَّحَ بهذا قائلاً:

(الطويل)

عُزِلْـــتُ فَجَـــدَّت فـــي العتـــاب لكونهـــا رأت مـــدّة التقـــديم نوعـــاً مـــن الهـــزل

فقلـــــتُ لهـــــا إنَّ الولايـــــة رَبُّهـــــا يـــــؤخّرُ عنهـــــا بالممـــــات أو العـــــزل[2]

وقوله:

(الطويل)

يلـــوم خليلـــيَّ أنْ عُزِلْـــتُ ولـــم أبِـــتْ بِهَـــمٍّ لـــه أشـــكو الـــورى مهجـــةٍ حَـــرَّى

فقلـــتُ لـــه المملـــوك لـــيس يهُمّـــه علـــى رغبـــةٍ عتيـــقٌ يُصَـــيّره ضُـــرّا[3]

وقد عَبَّر القيسي في غير مناسبة عن خيبة أمله وشعوره بالإقصاء والتهميش، وربط بين زمن العزل وزمن الأسر، فالعزل لا يعني فراغاً زمانياً فحسب، يقدر ما هو مصبوغ بلون الدمع والدم، مما يزيد من عذابه النفسي هذا وكأنه جرحٌ نازفٌ لا يقل إيلاماً عن قبضة الحديد[4]، يقول:

(الطويل)

وإنـــي لأدعـــو بـــالرجوع لحِظّـــةٍ بكتـــه زمـــان العـــزل بالـــدمع والـــدم

(1) المصدر نفسه: 111.
(2) المصدر نفسه: 472.
(3) المصدر نفسه: 473.
(4) ينظر: مستويات السقوط، قراءة في أدب الحزن الأندلسي: 134.

هـــي خطـــة كـــان الهنـــاء لهـــا بـــه أهـــمَّ لمـــا نالـــتْ بـــه مـــن تقـــدم

بقيـــتُ كمـــا تـــدري أســـيراً مقيّـــداً بقيـــد حديـــد أكحـــل اللـــون أدهـــمِ[1]

يبدو أنّه – وبحسب دلالة هذا النص – دلالة من حالة النهاء والاستقرار والمهابة إلى حالة من الحزن والسآمة، حتى أنَّ فكرة ظلَّ معلقاً بما كان عليه قبل العزل، مما زاد من حالة القلق لديه، ولعلّه وجد في نصّه هذا متنفساً لبَثّ شكواه وكأنه مرشدٌ وواعظ، أو قل إنّ الشاعر المعزول يعيد بناء عالمه عن طريق الذاكرة هرباً كم واقع العزلة المجدب[2].

ويؤبّن القيسي تعطيل التوثيق والقضاء كما يؤبّن فقيداً ذا مناقبَ جَمَّة، متكئاً على الموازنة كأسلوب فني عليها نصّه الذي يقول فيه:

(البسيط)

فَعَطّـــلا رســـمَهُ الشـــرعيَّ واأســـفاً وأبطـــــلاه ولا لـــــومٌ ولا فَنـــــدُ

وكـــان روحـــاً لـــه مـــن بســـطةٍ جَسَـــدَ إذ عطّـــــلاه فـــــلا روح ولا جَسَـــــدُ

وكـــان فـــي جيـــدها حليـــاً علـــى غَيَـــدٍ إذ عطّـــــلاه فـــــلا حلـــــيٌ ولا غَيَـــــدُ

وكـــــان معلـــمَ ديـــنٍ لا خفـــاء بـــه إذ عطّـــــلاه بهـــا فالـــدين مضـــطهدُ[3]

هذا التنوع في مبنى النص، وهذه الموازنة بين صدوره وأعجازه قَوَّتْ من رغبة الشاعر في التوضيح " خدمة للصورة الشعرية، وتكوينا للجمالية الفنية لنصّه، ومن هنا حاول الخروج على الحالة التعبيرية النمطية؛ لغرض أبعاد تجربته النفسية؛ ومعبراً عن تجربة شعورية لا تكلف فيها ولا تصنع"[4].

ويتزايد ألم القيسي النفسي عندما تعاطى خطةً التوثيق أمّيوُّن جهلة لا علاقة لهم بمهنة التوثيق والقضاء، يقول في هذا:

(الوافر)

تعـــاطى حظـــه التوثيـــق مَـــن لا لفـــرط الجهـــل رَسْـــمَ الخـــطِ يعـــرفُ

فكيـــفِ لشـــيْنه إنشـــاءُ رســـمٍ بتوكيـــل امـــرئٍ وعليـــه مُشـــرفُ[5]

وله في الغرض نفسه وفي موضعٍ آخر:

(الطويل)

تَحَكَّـــمَ فـــي التوثيـــق قـــومٌ بجهلهـــم إلـــى أنْ أتـــوا فيـــه بمـــا لـــيس يُعْـــرَفُ

(1) ديوان عبد الكريم القيسي: 39.
(2) ينظر: الفن والاغتراب: 89.
(3) ديوان عبد الكريم القيسي: 285.
(4) القيم الجمالية في الشعر الاندلسي، عصري الخلافة والطوائف: 287.
(5) ديوان عبد الكريم القيسي، 431.

وأعجـبُ بمـا جـاؤوا بـه فـي عقـودهم وكيـلٌ عليـه فـي الوكالـة مُشـرفُ[1]

وقوله بعد أن رأى أنَّ قُرأَء القرآنِ صاروا أذلّاء ممتهنين:

(الخفيف)

لا رعـى الله بسـطة وأناسـاً بحماهـا أضـحوا مـن السـكان

فلقـد أكرمـوا اللئـام افتخـاراً وأهـانوا القـرّاءَ للقـرآنِ[2]

ومما له صلة بتعطيل الوظائف تعطيل المساجد ولا سيما الجامع الأعظم بـ(بسطة)، حيث نقل لنا واقعه المرير، فَصَوَّر حال المساجد وكأنها تنطق وتفصح عما أصابها من هوان، يقول:

(الكامل)

فَتَهـدَّمَتْ بعـد البنـاء وأصـبحت مـن عُرْيهـا فـي خلعـة المسـكين

تشـكو لكـم بلسـان حـالٍ قائـلٍ مـن ذا الـذي يبنينـي أو يكسـوني

لهفـي علـى قـومٍ بنـوني واعتنـوا مـن وقفهـم لـي بالـذي يكفينـي

مـاتوا، فمـوتي بـالخراب محقـق إذ بعـدهم لـم يبـق مَـن يحيينـي

وجميـعُ أوقـافي، علـى مـا حـلّ بـي مـن فاقـةٍ، تُجبـى وتؤكـل دونـي[3]

هذهِ الأحوال المتردية قادته إلى أن يعلن موقفه إعلاناً يشي بتركه الكلام والفُتيا والقراءة، أو قل إنه أعلن موته الأدبي، موتٌ أدبي على صعيد الأدب، ونهائيٌ ومصيري على مستوى الأندلس برمَّتها، فقد كره مدينته (بسطة) ودعا إلى تركها، فضلاً عن أنه آثر حياة الخمول لكثرة ما تلقَّاه من هَزّات نفسية عنيفة، يقول في هذا:

تركـتُ كلامـي والقـراءة والفُتيـا ببسـطة واختـرتُ الخمـولَ بهـا رأيـا

فلسـتُ إليهـا مـا حييـت بعائـدٍ ولـو أنـني أُعطـى علـى حملهـا الـدنيا

أَبَـتْ هِمّتـي فيهـا لأخـلاق أهلهـا ظهـوراً يَسُـرُّ الـنفس أو رُتبـة عليـا

رضـيتُ لهـم مـوتي ولسـتُ بميـت فمـا العلـم بعـد المـوت صـاحبه محيـا[4]

المطلب الثالث: حرق الحانوت

من صور الواقع النفسي المؤلمة التي عانى منها القيسي " ما يشي بذلك هذه الحادثة التي يحكي فيها القيسي ما وقع له في حانوته الذي اعتدى عليه فيه بإحراقه، وهذا الفعل يدلّ على فساد أخلاقهم وإساءة بعضهم إليه"[5] واستناداً إلى آراء بعض الدارسين فإنَّ حرف الحانوت لم يكن إلا عن جناية جناها بسبب

(1) المصدر نفسه: 432.
(2) المصدر نفسه: 310.
(3) المصدر نفسه: 293.
(4) المصدر نفسه: 466.
(5) الشعر الاندلسي في القرن التاسع الهجري موضوعاته وخصائصه: 33.

قوله الحق، ومنهم (محمد بن شريفة) الذي رأى أنَّ الشاعر " قد اجمع حساده على أذيته، فقسم آذاه إياّه باللسان، وقسم آذاه باليد، ومن هؤلاء الذين عمدوا إلى إحراق حانوته الذي كان يجلس فيه للفُتيا وعقد الشروط وتقييد العلم[1]" وقد صَرَّح بهذا قائلاً:

(الطويل)

وإن شـــهدوا ظلمـــاً علـــيَّ ســـلاحهم فـــإنَّ ســـلاحي دعـــوتي وتـــوكلي

فـــإحراق حـــانوتي لتـــنحط رتبتـــي يعـــود علـــيهم بانعكـــاس المؤمـــل

فقـــد كـــان للأحكـــام مجلســـها الـــذي تُصـــان بـــه مـــن مفســـد أو مُبَـــدّلِ

وكـــان لتقييـــد العلـــوم وضـــبطها وعقـــد شـــروط القـــوم أقنـــى مُنَـــزّلِ[2]

وإذا ما بحثنا عن سبب مقنع لحرق حانوته فإنه لا يعدو أن يكون متعلقاً بأسباب الحسد والبغض والعداوة وما شابهها، ودليلنا بذلك قوله بعد أن ذكر ما خُبث من سوء أخلاقهم وسلوكهم المشين:

(الطويل)

بلـــدةٌ فيهـــا الهـــوى منحـــرفٌ كمـــزاج النـــاس فيهـــا انحرافـــا

حســـدٌ صـــاحبه البغـــي بهـــا ذا علـــى هـــذا بهـــا قـــد وقفـــا

أكثـــر النـــاس بهـــا مَـــنْ تلقـــه بكلا الوصفين فيها عُرِفا[3]

وقد أكد عذابه النفسي الذي تلقاه منهم في غير نصٍ، ما حَدَا به إلى أن يعلن الرحيل عن (بسطة) إلى مدينة أخرى تعرف بـــ(برجة) كهذه الأبيات التي يقول فيها:

(الطويل)

خليلـــيَ مـــا مثلـــي يقـــيم ذلـــيلا ويحمـــل مـــن ضـــيم الزمـــان ثقـــيلا

ويرضـــى بعـــيش لا يـــزال ببســـطة يُجَـــدَّد مـــن خطـــب الهمـــوم جلـــيلا

فكيـــف لنفســـي أن تقـــيم ببلـــدةٍ تشـــاهد فيهـــا مثـــل ذاك ثقـــيلا

فـــإنَّ مـــن العجـــز التـــواء بمـــوطنٍ يكـــون بـــه الظلـــمُ الـــذميمُ نـــزيلا[4]

فقد بدأ القيسي بذكر أخلائهُ الذين دَسُّوا له الدسائس، مستعملاً أسلوب النداء؛ فيه " ما يدلُّ على ما بين المنادي والمنادى من صلة قرب ومودة"[5]، وقد ساعد على حرق الحانوت الحياة الاقتصادية المتردية في

(1) البسطي آخر شعراء الأندلس: 54.
(2) ديوان عبد الكريم القيسي: 450 – 451.
(3) المصدر نفسه: 468.
(4) المصدر نفسه: 127 – 128.
(5) أسلوب النداء في مرجعيات ابن حمديس: 25.

مملكة غرناطة بسبب الحروب من الخارج والفتن من الداخل، ما أدى إلى انحلال في مستوى المؤسسات العامة كجهات الأمن الذي لم يَعُدْ قادراً على فرض النظام[1].

لقد أَثَّر إحراق حانوت القيسي في نفسه تأثيراً كبيراً؛ لأنه مورد رزقه، فضلاً عن أنه المكان الذي كان يجتمع فيه أصدقاؤه ومعاصروه، فيشكون لأنفسهم تلكم الأوضاع المتردية في عموم غرناطة، والحروب والفتن، زيادة على أنه كان يمثل صالوناً أدبياً لروّاد الأدب ومتذوقيه، فامتلأت نفس الشاعر غضباً وقلبه حقداً بعد حرقهم الحانوت فتحول مدحه لهم إلى لوم وعتاب وتعريض[2]، يقول في هذا:

(الكامل)

فقـــد ســـئمت نفســـي المقـــام ببلـــدة تغيَّـــر فيهـــا مَـــن تخـــذت خلـــيلا

وأبـدى عبـوس الوجـه مـن بعـد بِشـره وصَـيَّر لـي الـود الصـحيح علـيلا

ودان بمنـــع الحـــق والحـــق واجـــب وهـــيجَ وَجْـــداً فـــي الحشـــا وغلـــيلا

إن التأمل في نص القيسي المتقدم وفي غيره يلحظ أمرين:

الأول: البساطة في التعبير

الآخر: خضوع الشاعر بلغته الواقعية إلى المؤثرين: والذاتي المتمثل بضمائر المتكلم (سئمت ، تخذتُ) والمجتمعي المتمثل بمحاكاته للغة أوساط المجتمع وعامتهم في حواراتهم، حتى بَدَتْ لغته وكأنها "مرحلة بين الشعر في أسلوبه الفني المألوف الذي يتحّرى الجمال في طريقة التعبير، وبين النثر المطلق من القيود الفنية، القادر على التعبير عن الأفكار بكل حريّة"[3]، ولعلَّ ما مَيَّزَ واقعية الشاعر أنَّ أشعاره "سرعان ما تذيع ويقبل عليها الناس في سهولة ويُسر، وتصبح جزءاً من ثقافتهم، ومرآة تنعكس عليها أفكارهم وعواطفهم"[4].

الخاتمة

في ختام هذا الرحلة القصيرة التي تعرفنا فيها على حياة الشاعر عبدالكريم القيسي الاندلسي، نجد ان الشاعر عانىٰ ما عانىٰ من شظف العيش وقسوة الدهر وجور الزمان ، فضلاً عن الألام النفسية التي لازمته طوال مدة اقامته في الاندلس وخارجها المتمثلة بسجنه وأسره ، وعزله عن الفُتيا والوظائف الدينية ،فضلاً عن حرقهم لحانوته الذي كان يمثل لهم مصدر رزقه وقوت يومه . وقد أحسن الشاعر وَوُفّق أيما توفيق بترجمة هذه المعاناة وتلكم التأوهات في نصوص شعرية مؤثرة ، حاكت الواقع المرير بأنساق ظاهرة تارة وخفية تارة أخرى .

المصادر

١- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: محمد مصطفى هدّارة مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، القاهرة، د. ط: 1963.
٢- أسلوب النداء في مرجعيات ابن حمديس: صالحة بن عبد الله، محكمة الأحياء، المجلد 22، العدد 30، 2022.

(1) ينظر: الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي: 349/1.
(2) ينظر: ثنائية الظلم واللوم عند القيسي الأندلسي (دراسة تحليلية في المستويات اللغوية) : 213.
(3) الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري: 317.
(4) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: 554.

٣- البسطي آخر شعراء الأندلس: محمد بن شريفة، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985.
٤- ثنائية الظلم واللوم عند القيسي الأندلسي (دراسة تحليلية في المستويات اللغوية): نوال عبد الرحمن الشوابكة وحنان إبراهيم عمايرة مجلة دراسات، كلية الآداب، الأغواط، الجزائر، عدد 60، 2017.
٥- ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي: تحقيق د. جمعة شيخة، د. محمد الهادي الطرابلسي، المؤسسة الوطنية للترجمة، بيت الحكمة، تونس، 1988.
٦- السجن وأثره في الشعر الأندلسي: محمد سعيد معجب يحيى، جامعة الملكة أروى، مراكش، المغرب، 2000.
٧- الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري موضوعاته وخصائصه: قاسم الحسيني، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986.
٨- الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري: أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط3، 1991.
٩- الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي: د. جمعة شيخة، دار المغاربية للطباعة والنشر، تونس، 1994.
١٠- الفن والاغتراب: شاكر لعيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1991.
١١- القيم الجمالية في الشعر الأندلسي عصري الخلافة والطوائف: أزاد محمد كريم الباجلاني، دار غيداء ، عمان، 2013.
١٢- المرشد في فهم أشعر العرب وصناعتها: عبد الله الطيب المجذوب، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000.
١٣- مستويات السقوط، قراءة في أدب الحزن الأندلسي: عبد الله التطاوي دار قباء، القاهرة، 1998.
١٤- معجم مصطلحات السيموطيقيا: برونن ماتن، المشروع القومي للترجمة، سلسلة دراسات ثقافية، العدد 1196، ط1، 2008.